أنثروبولوجيا الفكر الاقتصادي

(اقتصاديات العالم القديم أنموذجاً)

أ. د . أحمد إبراهيم عبد منصور
استاذ
كلية الادارة والاقتصاد، جامعة نوروز
اقليم كردستان العراق

باور أحمد حاجي
باحث
كلية الادارة والاقتصاد، جامعة نوروز
دهوك - اقليم كردستان العراق

ملخص

لم يكن أمام الأنثروبولوجيين الاقتصاديين مناصّ من ملاحظة أن العالم حولهم يتغيير بسرعة؛ بشكل حالات تتباين من مجتمع إلى آخر في الأخلاقيات والتقنيات وعلاقات الانتاج, فنحن نعلم أن الحلقات والأكثر تطوراً كانت نتيجة الثورة الآلية أو ما يسمى بالثورة الصناعية, ولكن السؤال الذي شغلهم هو كيف كان الإنسان البدائي يعيش حياته بدون هذا التطور؟ وأن جلّ الأنثروبولوجيون ذوي عقلية مركزية أوروبا الفكرية بدأو دراساتهم ببلاد الإغريق مفترض أن الحياة الاقتصادية الحقيقية بدأت عندهم, وتعجبوا بأنه كيف كان الرجل الإغريقي البسيط يتولى مسؤولية تأمين احتياجات منزله!. لكن بعض الأنثروبولوجيين الآخرين ذهبوا أبعد من ذلك, أي بدراسة الأفكار الاقتصادية في بلاد ما بين النهرين مهد الحضارات, وافترضوا أن حركة المجتمع حركة تطورية مستمرة بحالات مختلفة, وأن الاقتصاد الإغريقي حلقة من حلقات السلسلة التطورية, فقبل أن يكون هناك اقتصاد يعتمد على العبيد في بلاد الإغريق, كان هناك اقتصاد يعتمد على الصيد ومن ثم على الزراعة وتربية المواشي إلى التجارة وتبادل السلع كما كانت في سومر وبابل ومصر وآشور وغيرها.

1. المقدمة

لم يبدأ الفكر الاقتصادي منذ ما يقارب (2000 سنة) بوصفه مبتدعاً إغريقياً من مبتدعات إدارة الأسرة كما يروج له البعض في افتراضات غير مدعمة بنص أو أثر, ولم تكن الأفكار عَالماً يخص الإغريق دون سواهم, فالأفكار قديمة قدم عقل الإنسان, والإنسان العاقل العاقل (Homo Sapiens Sapiens) ظهر منذ أكثر من (40000 سنة) وذلك في العصر الحجري القديم الأعلى (الباليوليت الأعلى), وهو العصر الذي استخدم فيه الإنسان الخشب والعظام والجلود, كما يعتبر العصر الذي كان الإنسان مستعداً للتأمل في مظاهر الطبيعة؛ بما فيها الأفكار الاقتصادية إذا اعتبرنا الفكر هو إعمال العقل في الموجود للوصول إلى معرفة المجهول, فقبل أن يستكشف الإنسان القديم الزراعة ويروض الحيوانات قبل أكثر من (10000 سنة), كان يستخدم عقله في صيد الفرائس البرية والبحرية, وما يتم صيده يوزع على القبيلة توزيعاً مشاعاً كما نسميه اليوم, رغم أن الإنسان القديم لم يعرف الشيوعية كفكرة, ولكن الشيوعية كسلوك اجتماعي كانت موجودة عنده.

وعليه فإن الأفكار والخواطر التي عرضت على الإنسان البدائي في أمور حياته الاقتصادية كانت موجودة, بحيث ليس من الضروري أن يكون هذا الفكر علمياً بل سلوكاً يعد من المشتركات الإنسانية, كون أنه ظهر في فترات تاريخية مختلفة مندمجاً أو مختلطاً مع أفكار فلسفية ودينية وسياسية, حيث أن المنهج العلمي في التفكير حول المسائل الاقتصادية لم يظهر إلاّ حديثاً.

1.1 مشكلة البحث

لم يعرف العالم القديم الاقتصاد كعلم, ولم يكن له وجود في ذلك الوقت, بل عرّفه كسلوك اجتماعي, فلم يكن للاقتصاد وجود كما كان للدين وجود عند المجتمعات البدائية, ومن الصعب دراسة اقتصاديات العالم القديم دراسة موضوعية, كون أن الاقتصاد أو الفكر الاقتصادي لذلك العالم كان مشوباً دائماً بالأفكار الغيبية, لذلك تكمن مشكلة البحث في استخراج الأفكار الاقتصادية من العالم القديم, الذي كان دائماً تحركه أفكار دينية, وهي منظومة من القيم والأخلاق الطبيعية قبل أن يعمل تحت إمرة مصلحته الاقتصادية الشخصية.

المجلة الاكاديمية لجامعة نوروز, المجلد 9, العدد 1 (2020)
ورقة بحث منتظمة نشرت في 2020/3/4
البريد الالكتروني للباحث : ahmad.masoor@nawroz.edu.krd
حقوق الطبع والنشر © 2017 أسماء المؤلفين. هذه مقالة الوصول اليها مفتوح موزعة تحت رخصة المشاع الابداعي النسبي – CC BY-NC-ND 4. 0

doi : 10. 25007/ajnu. v9n1a585

2.1 أهمية البحث

تكمن أهمية هذه الدراسة في استقصاء الأفكار الاقتصادية من العالم القديم, بفرزها عن الأفكار الغيبية التي كان العالم مشوباً بها حينها, فقد كان علينا أن نتقمص دور الأنثروبولوجي الاقتصادي, لاستخراج بعض الأفكار الاقتصادية من خلال ما كتبه المؤرخون والأنثروبولوجيون الاقتصاديون أمثال ول ديورانت وكارل بولانيي و مارسل موس وغيرهم.

3.1 فرضية البحث

إن حركة المجتمع هي حركة تطورية دائمة, بما في ذلك حركة المجتمعات البدائية, وأن اقتصادها اقتصاد تطوري لم تكن لهم حاجة إلى الامتلاك والملك, بل كانت أغلب المملكات القديمة تعتمد على الصيد ومن ثم على تربية المواشي؛ إلى أن تعلمت الزراعة, واستتبع ذلك تحولاً في الملكية القبلية إلى الملكية الأسرية, ونشأ بذلك التوريث العائلي.

4.1 منهجية البحث

استخدم الباحثان في دراستها المنهج الاستقرائي في السير من الخاص إلى العام, من خلال البحث عن عمليات هدفها الوصول إلى قاعدة عامة أو كلية تحكم قاعدة فرعية أو خاصة, مفترضاً أن الأفكار الاقتصادية كقاعدة عامة كانت موجودة بشكل بسيط وكسلوك اجتماعي, إلى أن أصبحت علماً بأنظمته وقواعده ونظرياته.

5.1 خطة البحث

يتناول البحث موضوعات متفرقة تشكل أساساً مادة بحثنا, وذلك من خلال مبحثين: المبحث الأول: ناقشنا مدخل إلى أنثروبولوجيا الفكر الاقتصادي, بينما خصصنا المبحث الثاني: لمناقشة سمات الفكر الاقتصادي في الحضارات القديمة عبر ثلاثة فروع: الفرع الأول: تم تسليط الضوء على اقتصاد الشرق القديم, والفرع الثاني: الاقتصاد بوصفه تدبيراً لشؤون الأسرة, بينما خصصنا الفرع الثالث من هذا المبحث لدراسة اقتصاد روما القديمة, وفي نهاية البحث تم تقديم استنتاجات ومقترحات.

2. المبحث الأول: مدخل إلى أنثروبولوجيا الفكر الاقتصادي

إن كلمة أنثروبولوجيا Anthropology يونانية الأصل, فهي اشتقت من كلمتين هما: أنثروبوس Anthropos ومعناها الإنسان, ولوغوس Locos ومعناها علم, فالأنثروبولوجيا من حيث اللفظ تعني: علم الإنسان, أي العلم الذي يدرس الإنسان ومراحل تطوره.

ولكن هذه الكلمة على الرغم من قدمها إلاّ أنها حديثة العهد, فما من أحد قال عن نفسه في عصور الإغريق القديمة بأنه أنثروبولوجي, إلاّ أن الأنثروبولوجيا كمظهر لدراسة الغيرية بمعنى التفكير بالآخرين وبالأنا ؛ كانت متواجدة حتماً , ولقد وجدت التقسيمات الأساسية مع هوميروس وهزيودوس , حيث تم تعريف الإنسان على أنه كائن يقع بين البهائم والآلهة ؛ يأكل الخبز (مزارع , مقدم القرابين الحيوانية , منذور للزواج وموعود بالموت) [1] , ويمكن أن نقول أن عوليس هو عالم الأنثروبولوجيا الأول الذي اختبر هذه النموذجية من خلال الأجناس غير البشرية والبرية بكل معنى الكلمة .

ومن الأمور المذهلة عن الجماعات البشرية القديمة , هو بقاؤها الذي امتد آلاف السنين على الرغم من تخلف وسائلها التكنولوجية وضعف إمكاناتها الاقتصادية , فبعض هذه الجماعات كانت تسكن في بيئة صحراوية تخلو من موارد الحياة تقريباً, ويقطن بعضا الآخر في المناطق القطبية المتجمده حيث تنعدم فرص الزراعة وتتوارى معظم إمكانات الإنتاج ماعدا صيد بعض الحيوانات القليلة , وهناك من كان يسكن الجبال العالية الجدباء, إن حياة هذه الجماعات قد أثارت اهتمام الأنثروبولوجيين منذ بداية اتصالهم بهم قبل أكثر من قرنين من الزمن , وقد لاحظ هؤلاء التباين الكبير في النماذج الاقتصادية التي استعانت بها هذه الجماعات معتمده على نفسها دون أن تلقي أية مساعدة تذكر من الخارج .

يهدف علماء الأنثروبولوجيا إلى اكتشاف مبادئ التنظيم الاجتماعي على المستويات كلها , من أكثرها خصوصية إلى العام منها , وكان هدف الأنثروبولوجيا الاقتصادية في القرن التاسع عشر حتى قبل أن تتشكل على هيئة علم اقتصاد الإنسان البدائي , إذن رسم المسار التاريخي للتطور هو اختبار الزعم القائل بوجوب قيام نظام اقتصادي عالمي على المبادئ التي قام عليها مجتمع صناعي غربي يتوق إلى العالمية , وكان البحث دائماً دائراً عن بدائل يمكن أن تؤمّن اقتصاداً أكثر عدلاً بغض النظر عن أشكال الأنظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية , ومن هنا جاء الاهتمام بالأصول والتطور , إذ كان مفهوماً أن المجتمع في حالة حركة وأنه لم يصل إلى شكله النهائي بعد [2] , حيث كان الفلاسفة يعتقدون منذ القرن السابع عشر , أن البشرية تتطور باتجاه التقدم الدائم , وأن المجتمعات تنحو إلى الانتقال من حالة البساطة النسبية في تنظيمها إلى حالة أكثر فأكثر تعقيداً وتمايزاً , فاعتبر باسكال (1623- 1662م) أن البشرية هي بمثابة إنسان واحد بالذات يبقى دائماً على قيد الوجود ويتعلم باستمرار . وطرح الاقتصادي والسياسي الفرنسي آن روبير تيرجو (1727- 1781م) نظرية حول

مراحل النمو يتوالى بموجبها القناصون الرحّل أولاً , ثم مربّو المواشي , وأخيراً المزارعون , وتمتاز هذه المراحل بمؤسسات ومعتقدات مختلفة [3] , وبذلك كانت الأنثروبولوجيا هي الطريقة الأشمل للتفكير في الممكنات الاقتصادية .

وغالباً ما ربُطت الأنثروبولوجيا الاقتصادية بالمؤسسين للنظرية الاجتماعية الحديثة , ولاسيما ماكس فيبر ودوركهايم وداروين , وفي بعض الأحيان كان تاريخها يعاد إلى علماء الاقتصاد السياسي في عصر التنوير [4] , لكننا نعتقد أن المسائل الجوهرية بشكل عام ؛ وفي مقدمتها الأنثروبولوجيا الاقتصادية هي أقدم بكثير من ذلك , وما تتناوله الأنثروبولوجيا الاقتصادية في النهاية هو مسائل الطبيعة الإنسانية والرفاه , وهي مسائل شغلت فلاسفة جميع المجتمعات منذ البداية .

تتميز الأنثروبولوجيا الاقتصادية في تتطورها بوصفها علماً مستقلاً عبر أربع مراحل : في **المرحلة الأولى** التي امتدت من سبعينيات القرن التاسع عشر إلى أربعينيات القرن العشرين , حيث انصب اهتمام معظم علماء الأنثروبولوجيا على ما إذا كان سلوك المتوحشين الاقتصادي يستند إلى أفكار الكفاءة والعقلانية ذاتها التي يفترض أنها تحفز السلوك الاقتصادي في الغرب , وكرسوا جهدهم في البداية لوضع عروض موجزة عن التاريخ العالمي الذي كان من وجهة نظرهم عملية تطورية [5] , وفي السنوات التي تلت الحرب العالمية الأولى , أصبحت ممارسة العمل الميداني مهيمنة أكثر من أي وقت مضى , وسعى الإثنوغرافيون [*] إلى ربط أعم فرضيات علم الاقتصاد السائد (الكلاسيكي الجديد) بنتائجهم الخاصة عن المجتمعات البدائية , لكنهم أخفقوا أساساً لأنهم لم يفهموا المقدمات الإبيستمولوجية [**] لعلماء الاقتصاد .

وتبدأ **المرحلة الثانية** في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين , حين كانت الحرب الباردة في أوجها , والاقتصاد العالمي مزدهراً , وفي تلك الظروف كان علماء الأنثروبولوجيا الاقتصادية يتجادلون في ما بينهم في شأن النظريات والمنهجيات اللازمة لدراسة ميدانهم الخاص الذي كان قد امتد في ذلك الوقت ليشمل فلاحي العالم إضافة إلى أبناء القبائل الذين كان عددهم في تناقص حينها , واعتقد الشكلانيون بمن فيهم ميلفيل هيرسكوفيتس (1895- 1963م) وتالكوت بارسونز (1902- 1979م) أن المفاهيم السائدة في علم الاقتصاد وأدواته كافية للقيام بهذه المهمة , ويرون أن كل ظاهرة إدارة يقوم بها البشر تتعلق بندرة مواردهم المادية بغية بلوغ أهداف محددة .

في حين زعم الجوهرانيون [***] بمن فيهم مؤسس المدرسة الجوهرانية كارل بولانيي (1886- 1964م) , أن المقاربات المؤسساتية أكثر ملاءمة , وكانوا يقصدون بكلمة مؤسساتية أن الحياة الاقتصادية في المجتمعات التي لم تهيمن عليها الأسواق المتجردة عما هو شخصي دائماً في مؤسسات اجتماعية أخرى , تندرج من الأسرة إلى الحكومة والدين , وهم يرفضون القيمة التعليلية للقانون التجريدي للمنفعة- الندرة , كما يرفضون تواصل المقارنة المؤسسة على فرضية كهذه , ومن وجهة نظرهم أن الأنظمة الاقتصادية هي على العكس في حالة تقطّع متواصلة جذرياً [6] .

وتبدأ **المرحلة الثالثة** من تاريخ الأنثروبولوجيا الاقتصادية من الحد الفاصل في السبعينيات لتمتد على مدى ثلاثة عقود من العولمة الليبرالية , وكانت هذه الفترة قد شهدت أنثروبولوجيين يوسعون دراساتهم لتتناول التنظيم الاقتصادي الإنساني برمته من منظورات متنوعة , وكان هؤلاء عموماً قد فضلوا إلى الآن أن يلتزموا تقليد الرصد والمشاهدة الإثنوغرافي , وفي **المرحلة الرابعة** والأخيرة من التطور ستنبثق أخيراً الأنثروبولوجيا الاقتصادية بوصفها ميداناً تخصصياً قائماً بذاته [7] .

ومن بين جميع أولئك الذين ساهموا في بناء صرح الأنثروبولوجيا الاقتصادية كان مارسل موس (1872- 1950م) وكارل بولانيي في مقدمتهم , وكلاهما استمد معلوماته من الاقتصاديين في التركيز على آليات التداول , فيما عارضا وبقوة فرضياتهم ونتائجهم الرئيسة , وفسرت (مقالة في الهبة) لموس تفسيراً ضيقاً جداً على أنها مساهمة في نظرية التبادل , حيث اعتبرت الهبة أو (الخيرات) تحت ستار تلك النظرية ؛ جانباً من جوانب التباين بين الهبات والسلع , وهو تباين يعتبر غالباً حالة مثالية من الانقسام بين الغرب وبقية العالم , وفي الحقيقة كان هدف موس هو حل التعارض بين الهبات المحض والعقود النفعية من أجل كشف المبادئ الكونية للإلتزام المتبادل والتكامل الاجتماعي [8] , ويشير موس إلى وجود حياة كاملة من وراء السلع وعمليات التبادل لا تقتصر على السوق , إنما تشمل تبادل الهدايا أو الهبات في المناسبات الاجتماعية والدينية وغيرها من أشكال التضامن والتكافل أو التحولات الاجتماعية , فهذه أمثلة معدودة لمقاربة موس للظواهر الاجتماعية ورفضه أن يحصرها في مجال علمي واحد , إذ أن الإنسان حسب رأيه ظاهرة كلية لا تجوز تجزئتها .

وعلى الجانب الآخر شدد كارل بولانيي على لحظة الزمن ؛ هي الثورة الصناعية ليقيم نظرية عن انقسام كبير , وقاده ذلك إلى التخلي عن دراسة الاقتصادات الحديثة وتركها للاقتصاديين , إذ جددت أزمة الرأسمالية الليبرالية الجديدة في العقد الأول من

doi : 10. 25007/ajnu. v9n1a585

القرن الحادي عشر أهمية التحليل الكلاسيكي لمخاطر المبالغة في توسيع مبدأ السوق الذي قام به بولاني في كتابه (التحول الكبير) [9].

ما نأخذه من موس وبولانيي كما بيّن (كريس هان وكيث هارت) في كتابهما (الأنثروبولوجيا الاقتصادية), هو إنشغالٌ بكيفية إقامة المجتمع على مزيج من المبادئ الاقتصادية الموزعة على نطاق واسع في الجغرافيا والتاريخ , والتي يمكن مزجها على نحو متغير لتعطي دافعاً واتجاهاً جديدين لشؤوننا المشتركة , واهتم كلاهما عن كثب بالتجارب الاجتماعية المعاصرة التي جرت باسم الماركسية , تلك التجارب التي شعرا أنها شوهت وعد ذلك التقليد باقتصاد إنساني متحرر تماماً , ورفضا مثل ماركس المشروع الطوباوي (****) المتمثل باختزال المجتمع إلى الأسواق الرأسمالية , ورأيا أن الاقتصاد يُشدُ في اتجاهين في الآن ذاته : نحو الداخل لتأمين الضمانات المحلية لحقوق الجماعة ومصالحها , ونحو الخارج للتعويض عن نواقص العرض المحلي عبر الاشتراك مع الآخرين على نحو أشمل من خلال وسيط هو المال والأسواق [10].

لقد طوّر كل من موس وبولانيي مبادئ العمومية الكبيرة التي تلقي المزيد من الضوء على الحياة اليومية , من دون أن يعتبرا الإثنوغرافيا حرفة شخصية , وبذلك أقاما جسوراً فكرية بين التاريخ والإثنوغرافيا والنقد , ووصل كل منهما إلى المسائل السياسية الكبيرة لعصره , وبذلك يمكن النظر على وفق نسق تاريخي عميق أن جوهر الأنثروبولوجيا الاقتصادية كان يقع في تلك العلاقة الجدلية بين الإنسان والموارد ؛ من خلال فحص تلك الشظايا والنقوش البدائية على الصخور والتي تعبر عن سلوك الإنسان في تعامله مع الموارد والتي تعبر أصلاً عن مبدأين ما زالا قائمين إلى الآن وهما :

- الألم .
- اللذة .

الألم هو سعي الإنسان الأول في تحصيل حاجاته وسعيه منذ فجر السلالات الأولى في الجمع ثم الالتقاط والقطف والصيد إلى الدائرة الأخيرة في تطوره في الصناعات الاستخراجية والتحويلية , وتكثير انتاج الغذاء بشكل كثيف وواسع .

أما اللذة فهو المقابل الموضوعي للألم الذي كان يرهق الإنسان أيضاً منذ البدأ في أشكال التحصيل البدائي , والى الآن في تحصيل الدخول للوصول إلى الرفاهية الشاملة والتي لا تخرج عن كونها السعادة الحقيقية .

3. المبحث الثاني : سمات الفكر الاقتصادي في الحضارات القديمة

لم تتناول الحضارات القديمة ولا حضارات العصور الوسطى ؛ الفكر الاقتصادي إلاّ بشكل تابع ضمن المنظومات الدينية أو الأخلاقية أو القانونية , حيث كانت سيطرة الإنسان على بيئته المحيطة محدودة جداً , وفي مثل هذه الظروف فإن الفكر الإنساني حول الظواهر الاجتماعية ومن ضمنها الاقتصادية كان مشوباً دائماً بالأفكار الغيبية .

غير أنه لا ينبغي أن نقسو في لوم الإنسان بسبب عجزه عن أن يخلق جنة على الأرض , حيث أنه من العسير انتزاع العيش من سطح هذا الكوكب , وإنه لما يثير الخيال بقوة أن نفكر في الجهود اللانهائية التي لا بد أنها بذلت في استئناس الحيوانات لأول مرة , واكتشاف بذور النباتات التي تصلح للزراعة , واستغلال الخامات المعدنية الموجودة على سطح الأرض لأول مرة , والإنسان لم يوفق في الإبقاء على جنسه إلاّ لأنه مخلوق نزّاع إلى التعاون مع أفراد الجماعة , وفي مثل هذا المجتمع البدائي كانت البيئة هي التي تحدد الصراع بين روح العدوان ونزعة التعاون , فحيث يطالع شبح الموت جوعاً الجماعة كل يوم , فإن مجرد الحاجة إلى الإبقاء على الذات تدفع أفراد المجتمع إلى التعاون في أداء أعمالهم اليومية [11].

وإذ توالت القرون لم يجد الإنسان سوى طريقتين يبقي بها على حياته :

- الطريقة الأول : فهو قد ضمن بقاءه عن طريق تنظيم المجتمع على أساس التقاليد , ونقل المهام المتنوعة والضرورية من جيل إلى جيل وفقاً للعادة والعرف , فالأبن ينهج على منوال أبيه , فنرى مثلاً في مصر القديمة كان الدين كما يحدّثنا آدم سميث : يفرض على كل شخص أن يزاول مهنة أبيه , وكان المفروض أنه يرتكب أبشع تدنيس لحرمة المعتقدات إذا احترف غيرها [12], كذلك كانت التقاليد في الهند إلى عهد قريب تفرض على الأفراد أعمالاً معينة تتفق والطبقة التي ينتمون إليها , لا يزال المرء في جزء كبير من العالم الذي لم يأخذ بأسباب النظام الصناعي , يولد ومعه الحرفة التي سوف يتعين عليه أن يمارسها .
- الطريقة الثانية : هي الطريق والسماح لكل فرد بأن يعمل ما يراه صالحاً بشرط أن يتبع قاعدة مركزية يهتدي بها , وهذه الطريقة عرفت باسم (نظام السوق) , وكانت قاعدته بسيطة ومؤداها أنه ينبغي لكل فرد أن يسعى إلى ما فيه أفضل مصلحة نقدية له , وقد نتج عن تلك العلاقات المتبادلة بين كل الأفراد أداء الأعمال الضرورية للمجتمع [13], وهذا الحل لمشكلة البقاء هو الذي

استدعى ظهور رجل الاقتصاد كما يقول هيلبرونر , فكان هناك وجود لرجال الكهنوت والساسه والفلاسفة والمؤرخون , أما الاقتصاديون فلم يكن لهم وجود وهو أمر قد لا يبدو غريباً .

في المراحل الأولى من التطور الاقتصادي كانت التجارة أعظم مثير للعالم البدائي , لأنه لم يكن هناك ملك وبالتالي لم يكن هناك من نظم الحكم إلاّ قليل , وكانت الملكية في الأعم الأغلب في حدود الأشياء التي يستخدمها المالك لشخصه , وكان معنى الملكية هذا من القوة بحيث لازمت الأشياء المملوكة مالكها , وغالباً ما دفنت معه في قبره , وأنطبق هذا على الزوجة نفسها , وأما الأشياء التي لا تتعلق بشخص المالك فلم تكن الملكية مفهومة بالنسبة إليها , فنكاد نجد الأرض عند كل الشعوب البدائية ملكاً للجميع , كانوا يملكون الأرض جماعة ويحرثونها ويقتسمون الثمار بشكل جماعي , وفي ذلك قال هنود أوماها الذين كانوا يعيشون على ضفاف نهر سانت بيتر بمينيسوتا في أمريكا الشمالية : إن الأرض كالماء والهواء لا يمكن أن تباع .

أما شيوعية القوت فقد كانت أقل من ذلك انتشاراً , فمن المألوف عند الهمج أن من يملك طعاماً يقتسمه مع من لا يملك منه شيئاً , بل كان من المألوف أن تستعين الجماعات التي ينزل بها القحط بجيرانها , وكان إذا ما جلس إنسان في الغابة ليأكل وجبته , توقع منه الناس أن يصيح لمن أراد أن يشاطره الطعام قبل أن يبدأ هو في تناوله , وبغير ذاك لا يكون الصواب في جانبه , وقد تكون هذه العادات في سياق ما يسمى بالدين الطبيعي ومكارم الأخلاق التي فطر الإنسان عليها .

وقد لاحظ الرحالة البيض أثناء رحلاتهم في أفريقيا , أن الرجل الأسود إذا ما قدمت له هدية من طعام أو غيره من الأشياء ذوات قيمة , فإنه يقسمها بين ذويه فوراً , وإذا ما أعطى المسافر بدلة لأحد هؤلاء السود , فسرعان ما يرى الموهوب يلبس من الهبة جزءاً كالقبعة مثلاً , ثم يرى صديقاً له يلبس السراويل وصديقاً آخر يرتدي السترة , وكذلك الإسكيمو لا يرون للصائد حقاً شخصياً في امتلاك صيده , بل يلزم توزيعه على أهل القرية جميعاً [14] .

ولكن لماذا حين نهض الإنسان وعاش في المدينة اختفت هذه الشيوعية ؟ يعتقد بعض الأنثروبولوجيون الاقتصاديون بأن ذلك يدل على أن الشيوعية البدائية لم تكون بيولوجية في اتجاهها لأنها عقبة في سبيل تنازع البقاء , وأنها لم تحفز الناس بما يكفي لتشجيعهم على الاختراع والنشاط والاقتصاد , نعم إن الشيوعية طمأنت هؤلاء الذين خلصوا بحياتهم من حوادث الفقر والجهل وما يترتب عليهما من مرض في المجتمع البدائي , لكنها لم تنتشلهم من ذلك الفقر انتشالاً , وأما الفردية فقد جاءت بالثراء , لكنها كذلك جرّت معها القلق والرق فضلاً عن اغتراب الإنسان وفقره.

تستطيع الشيوعية أن تعيش في سهولة أكثر في مجتمعات دائمة الانتقال , لا يزول عنها الخطر والعوز , فالصائدون والرعاة ليس بهم حاجة إلى ملك يحتفظون به , لكن لما أصبحت الزراعة صورة الحياة المستقرة لم يلبث الناس أن تبينوا أن العناية بالأرض تبلغ أقصاها من حيث غزارة الثمر إذا ما عاد جزاء تلك العناية إلى الأسرة التي قامت بها , فنتج عن ذلك بحكم الانتخاب الطبيعي القائم بين النظم الاجتماعية والأفكار , كما هو كائن بين الأفراد والجماعات ينتج أن الانتقال من الصيد إلى الزراعة استتبع تحولاً من الملكية القبلية إلى ملكية الأسرة , وبذلك أصبحت أكثر الوحدات الاجتماعية اقتصاداً في نفقات الانتاج , ولما أخذت الأسرة شيئاً فشيئاً تتخذ الصورة الأبوية التي تركز السلطة كلها في أكبر الذكور سناً , أخذت الملكية كذلك تترسخ وتستقر شيئاً فشيئاً في أيدي أفراد , ثم نشأ التوريث لشخص معين عن شخص معين , إلى أن باتت الملكية الفردية هي النظام السائد [15] .

1.3 الفرع الأول : اقتصاد الشرق القديم

وإذا ما عدنا إلى الحياة الاقتصادية في سومر نرى أن أساس هذه الحضارة كانت تربة الأرض التي أخصبها فيضان النهرين السنوي , وهو الفيضان الناشئ من سقوط الأمطار الشتوية , وكان هذا الفيضان ضاراً ونافعاً , فقد إهتدى السومريون إلى أن يجروا ماءه جرياناً أميناً في قنوات للرى تخترق البلاد طولاً وعرضاً , وقد خلدوا أخطاره الأولى بالقصص التي تتحدث عن فيضان عظيم طغى على الأرض ثم انحسر عنها آخر الأمر ونجا الناس من شره , وكان نظام الرى المحكم الذي يرجع عهده إلى (4000 ق .م) سنة من أعظم الأعمال الإنشائية في الحضارة السومرية [16] , وما من شك في أنه كان أيضاً الأساس الذي قامت عليه , فقد أخرجت الحقول التي عنوا بريها وزرعها محصولات وافرة من الذرة والشعير والقمح والخضر الكثيرة المختلفة الأنواع , وظهر عندهم المحراث منذ أقدم العصور وكان تجره الثيران , يتصل به أنبوبة مثقوبة لبذر البذور [*****] .

والى جانب الزراعة اهتم السكان بتربية الماشية كالبقر والغنم والماعز والخنزير واتقنوا صناعات مرتبطة بها كصناعة الألبان وغزل الصوف والنسيج الذي كانت صناعته واسعة الانتشار ويشرف عليها مراقبون يعينهم الملك , ومن المهن التي كانت تتعلق بواردات المعبد والسلطة الحاكمة مهنة صيد الأسماك البحرية والنهرية , وقد مارس

هؤلاء السكان الصناعة فاستخرجوا الزفت واستخدموه في البناء وصناعة السفن , كما صنعوا الأدوات المتنوعة كالأسلحة والأواني وأدوات الزراعة , علاوة على استخدام الجرار والأباريق والمزهريات الفخارية والأدوية والعطور والمشروبات وبناء المنازل والمعابد والقصور [17] .

أما من الناحية التجارية ونظراً لافتقار البلاد إلى المواد الأولية , فإن التجارة الخارجية كانت أحد أعمدة الحياة الاقتصادية , لقد استورد السومريون المواد الأولية الضرورية لإقامة حضارتهم كالمعادن والأحجار والأخشاب الصالحة للبناء مقابل المنتوجات الزراعية والحيوانية , ونظراً لهذا التطور التجاري فقد نشطت وسائل نقل البضائع حيث اعتمدوا على النقل بطريق الملاحة في الخليج العربي أو في أعالي النهرين دجلة والفرات , كما تطور النقل البري وانتشر مع ظهور المركبات التي اعتبرت أقدم المركبات ذات العجلات في التاريخ , وقد عثر على أختام تدل على وجود صلات تجارية بين سومر وبين مصر والهند .

ولم تكن النقود معروفة بعد بل كان التبادل التجاري يتم بطريقة المقايضة مع إمكانية استعمال الذهب والفضة في أعمال التبادل , وقد سنت الدولة القوانين التجارية التي تنظم عملية التبادل ونظام الفائدة العينية التي بلغت (25 إلى 33 %) في السنة , ولما كان استقرار المجتمع يتناسب إلى حد ما تناسباً عكسياً مع سعر الفائدة فإن لنا أن نفترض أن التجارة السومرية كان تحيط بها جو من الارتياب والاضطراب الاقتصاديين والسياسيين [18] .

وعرف السومريون نظام الضرائب على الأملاك من الغلال أو الماشية أو المعادن والتي يدفعها السكان للمعابد أو للملك إما عيناً أو بشكل أيام عمل في أملاك صاحب الضريبة , وكان أهل البلاد الأغنياء منهم والفقراء ينقسمون إلى طبقات ومراتب كثيرة , وكانت تجارة الرقيق منتشرة بينهم وحقوق الملكية مقدسة عندهم [******] , ونشأت بين الأغنياء والفقراء طبقة أفرادها من صغار رجال الأعمال وطلاب العلم والأطباء والكهنة وقد علا شأن الطب عندهم فكان لكل داء دواء خاص , ولكنه ظل يختلط بالدين ويعترف بأن المرض لا يمكن شفاؤه إلاّ إذا طردت الشياطين من أجسام المرضى , لأن الأمراض إنما تنشأ من تقمص الأجساد الأجساد الأرواح الخبيثة [19] .

وفي مصر القديمة يصف هيرودوت الحياة الاقتصادية فيها كما وجدها حوالي عام (450 ق .م) , وصفاً تسوده روح التفاؤل فيقول : ان هؤلاء القوم يقومون بزراعة أراضيهم بجهد أقل مما يبذله غيرهم من الشعوب , فأولئك لا يحتاجون في زراعتهم للمحراث أو المجرفة أو أي أداة من أدوات الزراعة , إذ حسبهم أن ينتظروا فيضان النهر حتى تغمر المياه حقولهم , ثم تنحسر المياه فيقوم كل فلاح عندئذ بنثر البذار , ويطلق الخنازير في الحقل وتقلب التربة , ثم يخلد إلى السكون حتى تأتي الأرض بموسمهم [20] , [*******] .

شهد النظام الاقتصادي في مصر القديمة ما بين (3000- 2400 ق. م) مرحلة انتقال من الاقتصاد البدائي إلى العبودي , فابتداء من نهاية القرن الثالث إلى بداية القرن الثاني (ق. م) لوحظت ثمة تبدلات كبيرة في النشاط الاقتصادي لمصر القديمة , نتيجة للتطور الذي جرى في القوى المنتجة والذي كان من آثاره توسيع مساحات الأراضي الزراعية وبشكل خاص عن طريق احياء أراضي جديدة , مما أدى إلى زيادة الحاجة إلى الرقيق لغرض استخدامهم كأيدي عاملة بخسة في هذه الأراضي , وكان تحتاجه هذه الأراضي الزراعية نظام للري من خلال شبكة واسعة من القنوات وخزانات المياه , لذا تم تشييد العديد من المنظومات المائية وفي مقدمتها إنشاء منظومة أسوان المائية التي كانت قد بنيت على ضفاف نهر النيل [21] , والى جانب الاهتمام بالزراعة والرعي , لوحظ توسع في العلاقات التجارية للمصريين القدماء مع الأقوام الأخرى , فقد كانت تستورد المعادن كالنحاس من بلاد العرب والنوبة لقلتها فيها , أما الحديد فكان يستورد من بلاد الحثيين , وكانت مناجم الذهب منتشرة على طول الضفة الشرقية وفي بلاد النوبة , كما كان يؤتى به من خزائن جميع الولايات الخاضعة لسلطان مصر .

وعرفت مصر في عهد الأسرات الأولى كيف تصنع البرونز بمزج النحاس بالقصدير , وصنعت منه أول الأمر أسلحة برونزية كالعجلات والرافعات والبكرات وآلات رفع الأثقال والأوتار واللوالب والمثاقب التي تثقب أقسى أحجار الديوريت , والمناشير التي تقطع ألواح الحجارة الضخمة لصنع التوابيت , واتخذوا من جلود الأنعام ملابس ودروعاً , وصنع المصريون من نبات البردي الحبال والورق وابتدعوا فن الطلاء .

وكان الكثرة الغالبة من الصناع من الأحرار , وقلتهم من الرقيق , وكان العاملون في كل صناعة من الصناعات يؤلفون طبقة خاصة , وكان يطلب إلى الأبناء أن يتخذوا صناعات آبائهم , كما كانت أسواق مصر مكتضةً بالتجار السوريين والكريتيين والقبرصيين , كما كانت السفن الفينيقية تجري في النيل من مصبه في الشمال إلى أرصفة (طيبة) عاصمة الفراعنة الكثيرة الحركة في الجنوب .

ولم تكن النقود قد بدأت تستعمل في البيع والشراء , ولذلك كان كل شيء حتى مرتبات أكبر الموظفين تعطى لهم سلعاً حباً أو خبزاً أو خميرة أو بيرة , وكانت الضرائب تجبى عيناً , ولم تكن خزائن الملك غاصة بالنقد بل كانت مخازن تكدس فيها آلاف السلع من منتجات الحقول وبضائع الحوانيت . ولما أخذت المعادن الثمينة تتدفق على مصر بعد فتوح تحتمس الثالث , شرع التجار يؤدون ثمن ما يبتاعونه من البضائع سبائك من الذهب تقدر قيمتها بالوزن في كل عملية تجارية , ولم تضرب نقود ذات قيمة محددة تضمنها الدولة لتسهيل هذه العمليات , على أن نظام الائتمان قد نشأ بينهم وارتقى , وكثيراً ما كانت التحاويل والصكوك المكتوبة تحل محل المقايضة أو الدفع فوراً, وقد وجد الكتبة في كل مكان إذ كانوا يعجلون الأعمال بوثائق المبادلة القانونية وأعمال المحاسبة والأعمال المالية .

وما من أحد زار متحف اللوفر , إلاّ وشاهد تمثال الكاتب المصري الجالس مطوي الساقين , وجسمه كله يكاد يكون عارياً , ومن خلف أذنه قلم احتياطي غير القلم الذي يمسكه بيده , وهو يدون ما يقوم به ويسجل ما يؤدي من العمل , وما يسلم من البضائع وأثمانها ومكاسبها وخسارتها , يحصى الماشية الذاهبة إلى المذبح والحبوب وهي تكال للبيع , ويكتب العقود والوصايا ويقدر ما يجب على سيده أن يؤديه من ضريبة الدخل [22] .

أما بابل فقد تميزت بحضارتها المتطورة بالقياس إلى تلك الفترات الزمنية السحيقة في القدم , وتسلط أولى الوثائق التاريخية التي يعود تاريخها إلى (4500 عام ق . م) الضوء على بعض جوانب الحياة الاقتصادية فيها , حيث تتحدث عن الأموال المنقولة وغير المنقولة وكيفية انتقال ملكيتها من فرد لآخر , بيد أن أهم الوثائق التي تعطينا صورة متكاملة عن مستوى التطور الاقتصادي والاجتماعي والاداري للمجتمع البابلي هي قوانين حمورابي , وتكتسب هذه القوانين أهمية تاريخية خاصة لأنها أول وأقدم قوانين مكتوبة عرفتها البشرية , حيث يعود تاريخها إلى عام (1800 ق . م) [23] , وقد وجدت هذه القوانين في مدينة السوسة (عيلام) حوالي سنة (1901-1902م) وهي محفورة على مسلة حجرية من حجر البازلت ما زالت محفوظة إلى الآن في متحف اللوفر بفرنسا , وتشمل هذه القوانين (282) مادة مكتوبة باللغة البابلية وبالخط المسماري , وتقسم في العموم إلى ثلاثة أبواب [24] :

- الملكية : وتشمل البيوت والأراضي والبضائع والحيوانات .
- العائلة : وتشمل الوراثة وعقود الزواج وعلاقة الزوجين .
- الإساءات الجسدية : والتي اعتمدتها شريعة التلمود أي شريعة العين بالعين والسن بالسن .

ونلاحظ أن القسم الرابع والخامس من قوانين حمورابي تتعلق بشؤون الحقل والبساتين وبمخازن البيع بالجملة ودكاكين التجارة والرهن والتعامل مع صغار التجار , وتنص بعض مواد هذه القوانين على حماية ملكية الجنود للأراضي من تعسف بعض المرابين , خاصة في فترات الحروب , فالجنود اعتبروا طبقة متنفذة في المجتمع البابلي , وتعرضت هذه القوانين إلى وضع الفقراء والمساكين الذين كان يطلق عليهم تسمية (مشكينو) أي المساكين , فهؤلاء كانوا يتمتعون بحقوق أقل من الأحرار , غير أنهم بقوا محتفظين بحريتهم الشخصية , وكانوا قد انحدروا من طبقة الأحرار بعد افلاسهم اقتصادياً .

أما طبقة الرقيق فإنها كانت تحتل أهمية في قوانين حمورابي , حيث كانت تشكل المورد الأعظم في قوة العمل في بابل , وكانوا يمثلون تلك الطبقة المستغلة المجردة من الحقوق الإنسانية , وهذا ما تؤكده لنا المادة (231) من مواد قوانين حمورابي حيث نصت : فإن قتل صاحب البيت عبداً فعليه أن يعطي رقيقاً كمثل رقيق صاحب البيت [25] . أي أنه أذا تعرض الرقيق إلى القتل من قبل شخص حر , فلا تعدو عقوبة قاتلة أكثر من دفع ثمن الرقيق لمالكه .

كانت أكثر الأراضي الزراعية يفلحها المستأجرون أو الرقيق وأقلها يحرثها ملاكها الفلاحون , وكانت كلها في العهود الأولى تفتتها معازق من الحجر , وأقدم صورة لدينا تمثل المحراث في بابل هي الصورة المنقوشة على خاتم يرجع عهده إلى حوالي عام (1400 ق .م) , ولعل هذه الآلة النافعة كان وراءها في ذلك الوقت تاريخ طويل من التطور في أرض النهرين , ولم يكن أهل بابل يتركون الماء يفيض عن الأرض كما عند أهل مصر , وإنما كانت كل مزرعة تحميها من الفيضان جسور من التراب , وكان الماء الزائد عن حاجة الأرض ينصرف إلى شبكة من المصارف أو يخزن في خزانات لها فتحات يخرج منها إلى الحقول وقت الحاجة , وقد امتاز حكم (نبوخد نصر) بحفر عدد كبير من قنوات الري وبتخزين الزائد من الماء في خزان كبير يبلغ محيطه مائة وأربعين ميلاً , تخرج منه قنوات تروي مساحات واسعة من الأرض , وكانت الأرض

doi : 10. 25007/ajnu. v9n1a585

التي تروي على هذا النحو تنبت أنواعاً مختلفة من الحبوب والبقول , كما كانت فيها بساتين واسعة تنتج الفاكهة [26].

وكان غير الفلاحين من الأهلين يحفرون الأرض ويعثرون فيها على الزيت (النفط) , ويستخرجون من باطنها النحاس والرصاص والحديد والفضة والذهب , وقد وصف لنا المؤرخ والجغرافي الإغريقي استرابون (عاش 63 ق .م) , كيف كان ما يسميه (النفط والأسفلت السائل) يستخرج من الأرض , وأن الاسكندر المقدوني حين سمع بأن السائل العجيب ماءاً يحترق , أراد أن يتأكد من هذا القول الذي لم يكد يصدقه فطلى به جسد غلام وأوقد فيه النار بمشعل [27].

وفي مستهل الألف الأولى قبل الميلاد بدأ أهل بابل بصناعة الآلات من البرونز وصهروا المعادن ونسجوا القطن والصوف وصبغوا الأقمشة وطرزوها بمهارة , واستخدموا العربات في النقل تجرها الحمير , أما الحصان فقد عرفه البابليون منذ عام (2100 ق .م) واستوردوه من هضاب آسيا الوسطى , وتاجر البابليون به فأضحت بابل مركز تجارة الشرق الأدنى التي سهلها (نبوخد نصر) بإصلاح الطرق الرئيسية , فكانت القوافل التجارية تحمل إلى أسواق بابل غلات نصف العالم القديم المعروف أنذاك , مما جعلها سوقاً كبيرة تعج بالتجارة والبضائع , واستعمل البابليون في تجارتهم نظام المقايضة , فاستعملوا لها القمح والشعير وسبائك الذهب والفضة , وقد عرف نظام القروض بفائدة مرتفعة تصل إلى (20%) سنوياً [28].

لم تكن الحياة الاقتصادية عند الأشوريين تختلف كثيراً عنها عند البابليين , وذلك لأن هؤلاء لم يكونوا في كثير من الأحوال إلاّ أبناء الشمال وأبناء الجنوب ومن حضارة واحدة , وأهم ما كان بين البلدين من فروق أن المملكة الجنوبية كانت أكثر اشتغالاً بالتجارة , على حين أن الشمالية أكثر اشتغالاً بالزراعة , فكان أثرياء البابلين تجاراً في الغالب , أما أثرياء الأشوريين فكانوا عادة من كبار ملاكي الأراضي الواسعة التي جمعوا منها الضرائب وجندوا المقاتلين , كما كانوا يشترون البضائع الرخيصة ويبيعونها بأسعار غالية نظراً لسيطرتهم على جميع مناطق الشرق الأدنى [29].

وكانت الصناعات التي تعتمد عليها حياة أهل المدن واحدة , وكانت نينوى من الحواضر المتلئة بالحرف والصناعات بفضل ما جلبه لها ملوكها من ثراء عظيم , وكانت المعادن تستخرج من أرض البلاد أو تستورد بكثرة من خارجها , وفي عام (700 ق .م) استعملت أشور الحديد بدلاً من البرونز في صناعة التسليح , وعرفوا صناعة الزجاج والمنسوجات والخزف , كما نقلوا المياه إلى المدن بقناطر من الحجارة , وفي الميدان التجاري تقاضوا فوائداً عينية أو فضية على القروض تبلغ (25%) سنوياً [********] , واستعملوا العملة الذهبية والفضية والنحاسية والرصاصية , كما عرفت أشور الطبقية فجاء الأعيان ثم الصناعيين فأرباب المهن الحرة , ثم الفئة الرابعة التي تشكلت من الأقنان المرتبطين بالأرض وتألفت الفئة الخامسة من الأرقاء أسرى الحروب الذين كانوا يقومون بالأعمال الدنيا في السلم الاجتماعي [30].

أما بلاد فارس فلم تكن في تلك الأيام هي بعينها البلاد المعروفة لنا الآن , والتي يسميها أهلها بلاد ايران , بل كانت هي الأقليم الأصغر من الخليج العربي مباشرة من جهة الشرق , والمعروفة لدى الفرس الأقدمين باسم بارش , وهذا الاقليم يكاد يكوّن كله صحراوات وجبالاً , أنهاره قليلة ؛ معرض للبرد القارس والحر الجاف , فقد ذكر استرابون أن حرارة الصيف فيها تبلغ من الشدة درجة لا تستطيع معها الأفاعي والسحالي أن تعبر شوارع المدينة بالسرعة التي تكفي لنجاتها من الاحتراق بحرارة الشمس [31].

اعتمد الفرس منذ بداية تاريخهم على الرعي والصيد , واستعملوا للفلاحة الثورين اللذين يجران محراثاً خشبياً ينتهي بطرف حديدي , كما شق الفرس القنوات لجر المياه من الجبال إلى الحقول التي كانت مزروعة بالقمح والشعير , وكانت الأراضي الزراعية في بعض الأحيان تزرع بشكل تعاوني , والبعض الآخر يملكه الأشراف الاقطاعيون فيؤجرونه لغيرهم أو يستعملون الأرقاء في خدمته .

وأقام الفرس على الطرق التجارية الخانات العامرة مع الخيول البديلة المتأهبة لمواصلة السير بالبريد أو بالعائدات التجارية , على الرغم من احتقار الفرس للأعمال التجارية والصناعة التي تركوها في الغالب لغيرهم من الشعوب كالفينيقيين والبابليين , ويرون أن الأسواق بؤرة للكذب والخداع , وكانت الطبقات الموسرة تفخر باستطاعتها الحصول على معظم حاجاتها من حقولها [32], وأُعطيت الاتصالات ووسائل النقل أهمية كبيرة في بلاد الفرس , فشق المهندسون الطرق التي تربط بين المدن الكبرى ببعضها , وكان ثمة طرق تصل فارس بالهند مجتازة ممرات جبال أفغانستان , وقد جعلت هذه الطرق مدينة السوس مستودعاً وسطاً لثروة الشرق , وقد أنشئت هذه الطرق في الأصل لأغراض حربية وحكومية وذلك لتيسير سيطرة الحكومة المركزية وأعمالها الإدارية , ولكنها أفادت أيضاً في تنشيط التجارة , وكانت الأجور والقروض وفوائد الأموال تُعطى في بادئ الأمر سلعاً , وأكثر ما كانت تُعطى به الماشية والحبوب , ثم في فترة حكم دارا الكبير سك عملة بلاده من الذهب والفضة ونقش عليها صورته

وسماها (الدريق) , وكانت نسبة قيمة الدريق الذهبي إلى الدريق الفضي كنسبة (13.5إلى 1) وكان هذا بداية وضع نسبة بين النقدين في الوقت الحاضر [33].

وفي الهند القديمة كان يتم صهر الحديد في أفران صغيرة توقد بالفحم من كبرى صناعات الهند , وارتقت صناعة طرق الحديد وصبه في الهند قبل ظهورها المعروف لنا في أوروبا بزمن طويل , وازدهرت التجارة بين بابل والهند عن طريق الخليج الفارسي أو العربي بين عامي (700- 480 ق .م) , وهناك آثار وجدت في سومر ومصر تدل على تبادل تجاري بين هذين القطرين والهند في عهد ليس أحدث تاريخاً من سنة (3000 ق .م) , كما أخذت سفن الهند تشق البحار إلى بورما والصين , وازدحمت أسواق الهند بالتجار اليونانيين الذين أطلق عليهم اسم (يافانا) أي الأيونيين [34].

واستغرقت تطور النقد الضروري لتيسير هذه التجارة عدة قرون , ففي أيام بوذا كانت قطع النقد مستطيلة الشكل غليظة الصنعة , وكانت تصدرها سلطات اقتصادية وسياسية مختلفة , ولم تصل الهند مرحلة النقد الذي تضمن الحكومة قيمته إلاّ في القرن الرابع قبل الميلاد , وذلك بتأثير فارس واليونان , وفي العهود اللاحقة كانت قطع النقود في الهند أرقى من مثيلاتها في أية دولة أوروبية حديثة من حيث شكلها من الوجهة الفنية وصفاء معدنها [35].

2.3 الفرع الثاني : الاقتصاد بوصفه تدبيراً لشؤون الأسرة

كانت الحضارة اليونانية والاقتصاد الإغريقي المعروف بالاقتصاد العائلي الذي عرف بأنه قائم على إدارة المنزل , حيث يتولى رب المنزل مسؤولية تأمين احتياجات المنزل على وفق تقسيم العمل , ولم تظهر مشاكل اقتصادية أمام اليونانيين إلاّ في أثينا بعد الحصول على غنائم الحرب وازدهار التجارة , ولعل السبب يعود إلى أن الدولة الإغريقية قامت على الرق , بحيث ترك العمل اليدوي للعبيد وتم النظر إلى العمل بصفة عامة باستثناء الزراعة محل احتقار من المفكرين في ذلك الوقت .

نستطيع قراءة الفكر الاقتصادي السائد في الحضارة الإغريقية آنذاك من خلال كتابات المفكرين والفلاسفة الإغريقين أمثال أفلاطون وأرسطو الذين جاءوا على ذكر وتفسير بعض الظواهر الاقتصادية من قبيل العبيد والملكية وطبقات المجتمع .

الفيلسوف الإغريقي المعروف أفلاطون تناول بعض المشاكل الاقتصادية في كتاباته الفلسفية (الجمهورية والقوانين) , حيث كان يرى أن نشأة الدولة السياسية ترجع إلى اعتبارات اقتصادية تنبثق الدولة عنها , كما تصوّر أنها من حاجات الجنس البشري , فلا أحد يمكنه البقاء بنفسه , بل كلنا لدينا عدة متطلبات , وبما أننا نمتلك عدة احتياجات إذن ؛ فسنحتاج لأشخاص عديدين لإمدادنا بها , يؤخذ واحد كمساعد لغرض ما , وآخر لغرض آخر , وعندما يُجمّع هؤلاء الشركاء والمساعدون في مسكن موحّد معاً , سندعو هذا الجسم المأهول دولة [36], ودعا في كتابه الجمهورية إلى إقامة مدينة مثالية قائمة على تقسيم العمل والاختصاصات والمزايا بين طبقات المجتمع , وتشمل هذه الدولة على الطبقة الحاكمة التي تشمل الفلاسفة والحكماء الذين يخضعون لتربية خاصة , وطبقة النبلاء لنسلهم الشريف والمحاربون لشجاعتهم , وهذه الطبقة لا يحق لها التملك والزواج والميراث حتى تتوافر لديهم الرغبة في الاستمرار في أداء الخدمة العامة , لأن من أسباب انحراف البشر حب الملكية الفردية والرغبة في التوريث , أما الطبقة الأخرى فهي طبقة المحكومين التي تتضمن العمال اليدويين والزراعيين والصناع والحرفيين التي لها الحق في الملكية الفردية لأنهم يهدفون لتحقيق الربح بعكس الطبقة الحاكمة التي ينبغي أن تهدف إلى خدمة العامة وتحقيق الصالح العام , بينما الرق يعتبرهم أفلاطون أنهم عنصر دائم في الحضارة الإنسانية لا يمكن الاستغناء [37], (*********).

وهنا يكون للنقود دوراً مهماً في مدينته , فعندما يتم تقسيم العمل وتخصص كل فرد بحرفة معينة يظهر لديهم فائض الإنتاج للتبادل , فإن كل شخص سيعرض إنتاجه على الآخرين ليبيعه لهم , فتقوم النقود هنا بوظيفة أداة للتبادل [38], وينسب شومبيتر إلى أفلاطون أنه قد أخذ بنظرية تقول : إن قبول النقود في المعاملات لا يرجع إلى قيمة المادة التي تُكون تلك النقود المصنوعة منها , ولكن إلى اتفاق الناس وجريانهم على استخدامها كوسيط للمبادلة [39], (**********), وهي حالة من التوازن تبعد التأزمات في العرض والطلب .

أما أرسطو فقد ناقض أفلاطون في أفكاره ورأى أنه من الممكن تحقيق التوافق بين المصلحة الفردية والمصلحة العامة وأن الدافع الشخصي هو من أقوى الدوافع لتحقيق المصحلة العامة , وحاول تفسير بعض الظواهر الاقتصادية , ففرّق بين قيمة الاستعمال وقيمة المبادلة , فقيمة الاستعمال هي منفعة الشيء بالنسبة للشخص بينما قيمة المبادلة فالغرض منها هو تحديد معدل التبادل بين السلع بعضها بالبعض (**********) , وفيما يتعلق بتحديد قيمة التبادل فقد كان تفسير أرسطو أخلاقياً أكثر منه تحليلياً لأنه اقتصر على الاهتمام بتحديد فكرة الثمن العادل . كما فسّر أرسطو كيفية ظهور النقود وقد أرجع ذلك إلى عيوب المقايضة , فقد بيّن بأنه : لما حصل الامداد

doi : 10. 25007/ajnu. v9n1a585

الاجنبي , باستيراد ما يفتقرون إليه , وتصدير ما يعزز عندهم , ابتكرت الضرورة استعمال النقد , لان ضروريات المعاش ليست كلها سهلة النقل [40] .

كما قدّم إشارات عن نظرية الاستغلال في صورة بدائية , ففرّق بين الإثراء الطبيعي والإثراء غير الطبيعي واعتبر التجارة من قبيل الإثراء غير الطبيعي فيقول : يبدو بجلاء ان البيع والشراء ليسا بالطبع من فن [الاقتناء الطبيعي] [**********] , وكأنما يلقي أرسطو اللوم على التجار في خلق الأزمات من جراء الربح الفاحش , بينما اعتبر استخدام العبيد مما يتفق مع الطبيعة [41] . وعارض أرسطو الربا واعتبر الكسب منه إثراء غير طبيعي وقال : وما الربا الا نقد النقد . ومن ثم فهو بين اصناف الغنى التي تنافي الطبيعة اعظم منافاة . أبغضوا الربا بكل صواب . ولقد ابغضوه لان ربحه من النقد نفسه , لا مما جعل له النقد , إذ جعلت النقود للمبادلة . واما الربا فهو ينمي النقد نفسه [42] , ومن هنا جاء قوله : النقود لا تلد النقود.

3.3 الفرع الثالث : اقتصاد روما القديمة

وبالإنتقال إلى العصر الروماني , يلاحظ أن هذه الحضارة قد اعتمدت في البداية على الاقتصاد العائلي , ومن ثم تحولت إلى الاقتصاد الزراعي المغلق , ومن ثم إلى اقتصاد استعماري امبراطوري , فقد حاولت الحكومة منذ عهد الإمبراطورية أن تسيطر على الحياة الاقتصادية وأن تعيد ملكية الأراضي إلى الفلاحين , وهذه المحاولات الحكومية كانت سبباً في التحول إلى النظام الإقطاعي في العصور الوسطى , ولكنها عجزت إلى حد كبير , كما أرادوا أن يشجعوا زراعة الحبوب في إيطاليا ولكنهم أيضاً لم يفلحوا , ولهذا كانت إيطاليا دوماً تخشى الهلاك جوعاً .

فقد ظهر المرجع الروماني الهام في الزراعة في عصر الفضي ما بين (14- 96م) وهو كتاب يونيوس كلوملا المسمى (De Re Rustice) وهو من أصل اسباني , فقد وجد أن أحسن الأراضي قد شيدت عليها البيوت ذات الحدائق وسويت لتكون مسارح للأثرياء , وأن التي تليها في الجودة قد غرست فيها بساتين الزيتون والكرم , ولم يبقى للزراعة إلاّ أردأ الأراضي , ومن أقواله في هذا : لقد وكلنا حرث أراضينا لأحط العبيد , وهم يقومون بعملهم قيام الهمج . وكان يرى أن أحرار إيطاليا يتدهورون في المدن على حين أنه كان في مقدورهم أن يقوا أجسادهم وأخلاقهم بالعمل في الأرض , وكان كلوملا يحب الأرض ويحس بأن فلحها أعود على الناس من ثقافة المدن , ويقول في ذلك : إن الزراعة من أخوات الحكمة . وكان يغري الناس بالعودة إلى الحقول بتجميل موضوعاته بالألفاظ اللاتينية المصقولة , وإذا تحدث عن الحدائق والأزهار بلغت حماسته الشعرية غايتها [43] , ولربما هذا أحد أسباب سقوط الإمبراطورية الرومانية .

أما الصناعة فقد بدى لأهل روما أن مكاسب السياسة أعظم شرفاً من أرباح الصناعة , لذلك لم تكن فيها إلاّ مصنعان كبيران , أحدهما مصنع للورق والثاني مؤسسة للصباغة , إلاّ أن السياسة والقوة دائماً تحتاج إلى تمويل اقتصادي هائل , لذلك توجهت روما نحو الصناعة واستخراج المعادن , وكانت الصناعات التي يتم استخراجها من باطن الأرض يقوم بها كلها تقريباً العبيد والمجرمون , وكانت مناجم الذهب والفضة والنحاس والرصاص ومناجم الكبريت كلها تملكها الدولة وتستغلها بنفسها أو تؤجرها لغيرها , وكانت مصدراً هاماً من مصادر الإيراد القومي [44] .

كما اتسعت التجارة اتساعاً لم يسبق له مثيل في روما , بعدما كان ميزان تجارتها في غير صالحها , فقد كانت تشتري أكثر مما تبيع , وكانت تصدر بعض الفخار وبعض الخمر والزيت , والأدوات المعدنية والزجاج , والروائح العطرية , أما ما عدا هذه من المنتجات فقد كانت تحتفظ به لنفسها , وكان لتجار الجملة في هذه الأثناء وكلاء يشترون البضائع لإيطاليا من كافة أنحاء الإمبراطورية , وكان للتجار الأجانب سماسرة يعرضون بضائعهم في أيطاليا , وبهذه العملية المزدوجة جاءت طيبات نصف العالم إلى إيطاليا لتتلذذ بها أفواه عظماء الرومان وتكتسي بها أجسادهم .

وظلت هذه التجارة والرخاء الواسع لمائتي عام , وذلك لأن إيطاليا لم تحاول قط أن تتعادل صادراتها مع وارداتها , وأنها استولت على جميع المناجم في الإمبراطورية , وفرضت على أهلها الضرائب لتستمد منها المال الذي تدفعه لموازنة صادراتها بوارداتها , فلما استنفدت العروق المعدنية الغنية , حاولت روما أن تؤجل انهيار نظام استيراد بفتح بلاد جديدة اشتهرت بمعادنها , وبتخفيض قيمة نقدها , فصارت تصنع أكثر ما تستطيع صنعه من النقود من أقل ما لديها من السبائك , ولما اقتربت نفقات الإدارة والحروب من مكاسب الإمبراطورية وكان على روما أن تؤدي ثمن ما تستورده من البضائع بضائع أخرى , عجزت عن هذا , وكان اعتماد إيطاليا على ما تستورده من الطعام أهم أسباب ضعفها , ذلك أنها ساعة أن عجزت عن إرغام غيرها من البلاد على أن ترسل إليها الطعام والجنود , آذن مجدها بالزوال [45] .

4. الاستنتاجات والمقترحات

1.4 الاستنتاجات

نستنتج من هذه الدراسة بأن الفكر الاقتصادي هو فكر غير مكتمل , وهو دائماً نتاج

لزمانه ومكانه , ولا يمكن النظر إليه منفصلاً عن العالم الذي يفسره , ومثلما يتغير العالم أو بتعبير آخر العالم في تحول مستمر , كذلك فإن الأفكار لا بد أن تتغير وتتحول أيضاً , فقد ظهر الفكر الاقتصادي مثلاً بصيد الفرائس إلى أن أصبح وظيفة منزلية , ثم تطور حتى بات يعبر عنه الآن من خلال أنواع كثيرة من الأسواق العالمية.

وأن مهمة المفكر الأنثروبولوجي الاقتصادي هو اختبار الزعم القائل : بأن الفكر الاقتصادي قديم قدم الإنسان نفسه , وهذا ما يسعى إليه علماء الأنثروبولوجيا بمن فيهم الاقتصاديون ؛ وصولاً إلى اكتشاف مبادئ التنظيم الاجتماعي على المستويات كلها , ومن هنا جاء الاهتمام بالأصول والتطور إذ كان مفهوماً أن المجتمع في حالة حركة دائمة , وأنه لم يصل إلى شكله النهائي , وبذلك كانت الأنثروبولوجيا هي الطريقة الأشمل في التفكير بالممكنات الاقتصادية

2.4 المقترحات

على الرغم من أن علم الأنثروبولوجيا الاقتصادية ظهر في سبعينيات القرن التاسع عشر في الغرب ؛ بوصفه علماً يدرس في الجامعات والكليات , إلاّ أنه ليس هناك أي اهتمام يذكر من قبل المؤسسات العلمية في عالمنا الكوردي والعربي بهذا العلم , وأن جل الدراسات التي تدرس الأفكار واقتصاديات العالم القديم يستخدمون أفكاراً تاريخية دون استخدام دراسات أنثروبولوجية للوصول إلى نتائج بحثهم , من أجل ذلك يقترح الباحث الاهتمام أكثر بهذا العلم الذي أصبح في الغرب بمثابة الباب الذي لا بد لكل باحث اقتصادي يبحث عن القديم أن يدخل من خلاله , وإلاّ عرض نتائج بحثه للشك وعدم الموضوعية .

5. المصادر

1.5 باللغة العربية

1.1.5 الكتب

1. أرسطو , 1957م : السّياسّيات , ترجمة : الأب أوغسطينس بربارة البوليسي , اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية- بيروت .
2. أفلاطون , 1994م : المحاورات الكاملة (الجمهورية) , ترجمة : شوقي داود تمراز , م1 , الأهلية للنشر والتوزيع- بيروت .
3. بولانيي ,كارل , 2009م : التحول الكبير (الأصول السياسية والاقتصادية لزمننا المعاصر) , ترجمة : محمد فاضل طباخ , المنظمة العربية للترجمة- بيروت .
4. بورت , ل . ديلا , 1997م : بلاد ما بين النهرين (الحضارتان البابلية والأشورية) , ترجمة : محرم كمال , الهيئة المصرية العامة للكتاب .
5. الجبوري , د . عبد القادر يوسف , 1980م : التأريخ الاقتصادي , مديرية مطبعة الجامعة- جامعة الموصل .
6. حمورابي , 2007م : شريعة حمورابي , ترجمة : محمود الأمين , شركة دار الورّاق للنشر المحدودة- لندن .
7. جالبريت , جون كينيث , 2000م : تاريخ الفكر الاقتصادي (الماضي صورة الحاضر) , ترجمة : أحمد فؤاد بلبع , عالم المعرفة- الكويت .
8. ريحانا , د . سامي , 2006م : شعوب الشرق الأدنى القديم , نوبليس- بيروت .
9. سمث , آدم , 2016م : ثروة الأمم , ترجمة : وليد شحادة , دار الفرقد- دمشق .
10. شومبيتر , جوزيف أ. , 2005م : تاريخ التحليل الاقتصادي , م1 , ترجمة : حسن عبد الله بدر , المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة .
11. كريس هان وكيث هارت , 2014م : الأنثروبولوجيا الاقتصادية (التاريخ والإثنوغرافيا والنقد) , ترجمة : عبد الله فاضل , المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات- بيروت .
12. لومبار , جاك , 1997م : مدخل إلى الأثنولوجيا , ترجمة : حسن قبيسي , المركز الثقافي العربي- بيروت .
13. موس , مارسل , 2013م : مقالة في الهبة (أشكال التبادل في المجتمعات الأرخية وأسبابه) , ترجمة : محمد الحاج سالم , دار الكتاب المتحدة- بيروت .
14. هيرودوت , 2001م : تاريخ هيرودوت , ترجمة : عبد الإله الملاح , المجمع الثقافي- أبو ظبي .
15. هيلبرونر , روبرت , 2002م : قادة الفكر الاقتصادي , ترجمة : د . راشد البراوى , مكتبة النهضة المصرية- القاهرة .

2.1.5 المعاجم والموسوعات والقواميس

1. بونت وايزار , بيار وميشال وآخرون , 2011م : معجم الإثنولوجيا والأنتربولوجيا , ترجمة : د . مصباح الصمد ,المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت .
2. تد هوندرتش , بدون تاريخ النشر , دليل أكسفورد للفلسفة , ترجمة : نجيب الحصادي , ج1 , المكتب الوطني للبحث والتطوير- ليبيا .
3. ديورانت , ول , 1965م : قصة الحضارة (نشأة الحضارة الشرق الأدنى) , ترجمة : د . زكي نجيب محمود , م1 , ج1 , ط3 , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة .
4. ديورانت , ول , 1965م : قصة الحضارة (نشأة الحضارة الشرق الأدنى) , ترجمة : د . زكي نجيب محمود , م1 , ج2 , ط3 , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة .
5. ديورانت , ول , 1966م : قصة الحضارة (الهند وجيرانها) , ترجمة : د . زكي نجيب محمود , م1 , ج3 , ط3 , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة .

doi : 10. 25007/ajnu. v9n1a585

6. ديورانت , ول , 1966م : قصة الحضارة (قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية) , ترجمة : محمد بدران , م5 , ج10 , ط3 , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة .

7. هولتكرانس , إيكه , بدون تاريخ النشر : قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور , ترجمة : د . محمد الجوهري و د . حسن الشامي , ط2 , الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة

6. الهوامش

(1) بونت وايزار , بيار وميشال وآخرون , 2011م : **معجم الإثنولوجيا والأنثربولوجيا** , ترجمة : د . مصباح الصمد , المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت , ص93 .

(2) كريس هان وكيث هارت , 2014م : **الأنثروبولوجيا الاقتصادية (التاريخ والإثنوغرافيا والنقد)** , ترجمة : عبد الله فاضل , المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات- بيروت , ص17 .

(3) لومبار , جاك , 1997م : **مدخل إلى الأثنولوجيا** , ترجمة : حسن قبيسي , المركز الثقافي العربي- بيروت , ص61 .

(4) كريس هان وكيث هارت , مصدر سابق , ص14 .

(5) المصدر نفسه , ص18 .

(*) الإثنوغرافيا : تعني وصف أوجه النشاط الثقافي , وتسجيل المادة الثقافية من الميدان , وتعني أيضاً الدراسة الوصفية لطريقة وأسلوب الحياة لشعب من الشعوب أو مجتمع من المجتمعات , وهي أحد فروع علم الإنسان أي الأنثروبولوجيا , ويعرف أيضاً بالناسية . أنظر : هولتكرانس , إيكه , بدون تاريخ النشر : **قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور** , ترجمة : د . محمد الجوهري و د . حسن الشامي , ط2 , الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة , ص15 .

(**) الإبيستمولوجيا : أو نظرية المعرفة , هي دراسة حقنا في الاعتقادات التي نذهب إليها , وبوجه أكثر عمومية نبدأ بما يمكن أن نسميه بمواقفنا المعرفية , والابيستمولوجيا فرع من فروع الفلسفة يبحث في أصل المعرفة وبنيتها ومناهجها ومصداقيتها . أنظر : تد هوندرتش , بدون تاريخ النشر , **دليل أكسفورد للفلسفة** , ترجمة : نجيب الحصادي , ج1 , المكتب الوطني للبحث والتطوير- ليبيا , ص21 .

(*)** يجادل كارل بولانبي بأن المعنيين الشكلي والجوهري لكلمة اقتصادي دمجا , فالأول يشير إلى علاقة بين الغاية والوسيلة , أي العملية العقلية الهادفة إلى الاقتصاد (التوفير) , في حين يهتم المعنى الثاني بتأمين الحاجات المادية في المجتمع عموماً , وإن ما يجعل شيئاً ما شكلياً هو توافقه مع فكرة أو قاعدة ما , كما تشدد المقاربة الشكلانية على التشغيل المنتظم للأفكار , وهي في هذه الحالة مزاعم علم الاقتصاد الكلاسيكي الجديد العالمية , في حين تعطي المقاربة الجوهرانية الأولوية للمحتوى التجريبي في الظروف المادية والنقاشات. لمزيد من التفاصيل حول المفهومين الشكلي والجوهري من الوجهة الاقتصادية, أنظر: كريس هان وكيث هارت , مصدر سابق, ص84- 104.

(6) بونت وايزار , بيار وميشال وآخرون , مصدر سابق , ص156 .

(7) كريس هان وكيث هارت , مصدر سابق , ص19 .

(8) لمزيد من التفاصيل حول أفكار موس الاقتصادية أنظر : موس , مارسل , 2013م : **مقالة في الهبة (أشكال التبادل في المجتمعات الأرخية وأسبابه)** , ترجمة : محمد الحاج سالم , دار الكتاب المتحدة- بيروت .

(9) لمزيد من التفاصيل حول أفكار بولانبي أنظر : بولانبي ,كارل , 2009م : **التحول الكبير (الأصول السياسية والاقتصادية لزمننا المعاصر)** , ترجمة : محمد فاضل طباخ , المنظمة العربية للترجمة- بيروت .

(**) الطوباوية :** فكر نقدي وإبداعي يتنبأ بعوالم اجتماعية بديلة تحقق أفضل سبل الوجود , مؤسس على مبادئ عقلانية وأخلاقية , تفسر الطبيعة البشرية والتاريخ , أو إمكانات تقنية متخيلة . يشتمل التفكير الطوباوي بشكل ثابت على نقد للوضع الراهن , وهو يروم التغلب على الإجحاف الاجتماعي , الاستغلال الاقتصادي , الاضطهاد الجنسي , وسائر أشكال الهيمنة الممكنة التي تحول دون الرفاهة والسعادة في هذا العالم , ويعد الموت عادة نهايتها الفاجعة . أنظر : تد هوندرتش , مصدر سابق , ص557 .

(10) كريس هان وكيث هارت , مصدر سابق , ص32 .

(11) هيلبرونر , روبرت , 2002م : **قادة الفكر الاقتصادي** , ترجمة : د . راشد البراوى , مكتبة النهضة المصرية- القاهرة , ص15- 16 .

(12) سمث , آدم , 2016م : **ثروة الأمم** , ترجمة : وليد شحادة , دار الفرقد- دمشق , ص76 .

(13) هيلبرونر , روبرت , مصدر سابق , ص18 .

(14) ديورانت , ول , 1965م : **قصة الحضارة (نشأة الحضارة الشرق الأدنى)** , ترجمة : د . زكي نجيب محمود , م1 , ج1 , ط3 , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة , ص31- 32 .

(15) المصدر نفسه , ص33- 36 .

(16) ديورانت , ول , 1965م : **قصة الحضارة (نشأة الحضارة الشرق الأدنى)** , ترجمة : د . زكي نجيب محمود , م1 , ج2 , ط3 , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة , ص23- 24 .

(***)** المؤرخ الإغريقي (هيرودوت) قد زار بنفسه البلاد , وشهادته صادقة حيث شاهد , بيد أنه مما لاشك فيه أنهم قد رأوه حقلاً من حقول التجارب , حيث أمكن الحصول على غلة تفوق المتوسط بكثير , وتأكيداً لهذا يؤكد هيرودوت أن غلة أجد الحقول قدرت بمقدار (2250) للحبة الواحدة , وهو أمر ممكن إذا علمنا أن الغلة تبلغ من (30- 40) ضعف البذور . أنظر : بورت , ل . ديلا , 1997م : **بلاد ما بين النهرين (الحضارتان البابلية والأشورية)** , ترجمة : محرم كمال , الهيئة المصرية العامة للكتاب , ص8 .

(17) ريحانا , د . سامي , 2006م : **شعوب الشرق الأدنى القديم** , نوبليس- بيروت , ص75 .

(18) المصدر نفسه , ص76 .

(****)** إلاّ أن الحق يُقال أن طبيعة العلاقة بين السيد والعبد في بلاد ما بين النهرين ومصر كانت تتسم بخصوصية ذات جانب إنساني , إذا ما قورنت بالعبودية في بلاد الإغريق .

(19) ديورانت , ول , م1 , ج2 , مصدر سابق , ص25- 26 .

(20) هيرودوت , 2001م : **تاريخ هيرودوت** , ترجمة : عبد الإله الملاح , المجمع الثقافي- أبو ظبي , ص138 .

(*******) ومن هنا جاءت قدسية نهر النيل كما يذكر هيرودوت في أن هذا النهر قد يغضب في بعض السنين , ولا يفي بالفيضان المطلوب لذلك لجأ المصريون إلى تقديم فتاة عذراء كل سنة لنهر النيل برميها فيه حتى يفي النهر بالفيضان المطلوب لري الأراضي الزراعية .

(21) الجبوري , د . عبد القادر يوسف , 1980م : **التأريخ الاقتصادي** , مديرية مطبعة الجامعة- جامعة الموصل , ص33- 34 .

(22) ديورانت , ول , م1 , ج2 , مصدر سابق , ص84- 89 .

(23) الجبوري , د . عبد القادر يوسف , مصدر سابق , ص25- 26 .

(24) حمورابي , 2007م : **شريعة حمورابي** , ترجمة : محمود الأمين , شركة دار الورّاق للنشر المحدودة- لندن , ص11- 12 .

(25) المصدر نفسه , ص62 .

(26) ديورانت , ول , م1 , ج2 , مصدر سابق , ص200- 201 .

(27) المصدر نفسه , ص202 .

(28) ريحانا , د . سامي , مصدر سابق , ص128- 129 .

(29) ديورانت , ول , م1 , ج2 , مصدر سابق , ص278 .

(********) حيث كانت الفائدة وتسمى عندهم سبتو (Sibtou) أي النمو أو الزيادة على رأس المال , وقد بلغت في عصر أور سعرها للقرض الواحد من الشعير إلى (33, 3%) , إلاّ أنه أخذ في الانخفاض بعد ذلك , وكان حمورابي ميال لحماية المستفدين من المرابي , فأمر أن يكتب عند القرض ذي الفائدة في حضور موظف كان مكلفاً بذلك . أنظر : بورت , ل . ديلا , مصدر سابق , ص8 .

(30) ريحانا , د . سامي , مصدر سابق , ص148 .

(31) ديورانت , ول , م1 , ج2 , مصدر سابق , ص409 .

(32) المصدر نفسه , ص414 .

(33) ريحانا , د . سامي , مصدر سابق , ص166- 167 .

(34) ديورانت , ول , 1966م : **قصة الحضارة (الهند وجيرانها)** , ترجمة : د . زكي نجيب محمود , م1 , ج3 , ط3 , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة , ص153- 154 .

(35) ديورانت , ول , م1 , ج3 , مصدر سابق , ص157 .

(36) أفلاطون , 1994م : **المحاورات الكاملة (الجمهورية)** , ترجمة : شوقي داود تمراز , م1 , الأهلية للنشر والتوزيع- بيروت , ص102 .

(37) المصدر نفسه , ص104- 112 .

(*********) إذن لم يفعل أفلاطون أكثر من إعادة ترتيب المكونات النشطة اقتصادياً , لكنه لم يحد عن مبدأ الألم واللذة في الحصول على الحاجات , لكن إعادة ترتيب هذه المكونات اتسمت بالمثالية غير الواقعية ومتقاطعة مع منظمو القيم والأخلاق السائدة في المجتمع الإغريقي , سيما يتعلق بالملكية والتملك , والتي جاءت من خلال مخاضات عسيرة عبر قرون وجد أرسطو من الصعوبة بمكان تحقق هذا الحلم .

(38) المصدر نفسه , ص106.

(39) شومبيتر , جوزيف أ. , 2005م : **تاريخ التحليل الاقتصادي** , م1 , ترجمة : حسن عبد الله بدر , المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة , ص105.

(**********) وهي حقيقة من حقائق النقود باعتبارها وسيلة تبادل , ومن هنا جاءت لاأخلاقية الربا باعتبار إخراج النقود من وظيفتها الأساسية إلى وظيفة لا يمكن أن تتوافق مع وظيفة النقود .

(**********) وهو تفسير يرفضه (جون كينيث جالبريت) للنص الأرسطي بخصوص القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية , أو لماذا تكون بعض الأشياء الأكثر نفعاً هي الأشياء الأقل قيمة في السوق , على حين أن بعض الأشياء الأقل نفعاً تستحوذ على أعلى سعر ؟ ويرى جالبريت بأنه حتى القرن التاسع عشر كان الكتاب الاقتصاديون مازالوا يتصارعون حول سبب الفرق بين القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية , مع ملاحظة أن الخبز ومياه الشرب النقية سلعتان مفيدتان ورخيصتا الثمن نسبياً , على حين أن الأقمشة الحريرية وقطع الماس أقل نفعاً بكثير وأغلى ثمناً بلا جدال , ومن المؤكد بحسب رأي جالبريت أنه يوجد في ذلك أو كان يوجد شيء لا تقبله الأخلاق , وقد تحقق تقدم رئيسي في علم الاقتصاد عندما حلت هذه المشكلة بصورة نهائية . أنظر : جالبريت , جون كينيث , 2000م : **تاريخ الفكر الاقتصادي (الماضي صورة الحاضر)** , ترجمة : أحمد فؤاد بلبع , عالم المعرفة- الكويت , ص27 .

(40) أرسطو , 1957م : **السّياسّيات** , ترجمة : الأب أوغسطينس بربارة البوليسي , اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية- بيروت , ص27.

(**********) وهذا يتوافق مع التشكل والتمايز والاختلاف في أنماط ومسافات الاختلاف في أشكال التفكير الاقتصادي , ووفق الأنثربولوجيا الاقتصاد فإن هذه الاختلافات تعد نشطاً للنشاطات الاقتصادية للجماعات المختلفة سيما التجارة .

(41) المصدر نفسه , ص26.

(42) المصدر نفسه , ص32.

(43) ديورانت , ول , 1966م : **قصة الحضارة (قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية)** , ترجمة : محمد بدران , م5 , ج10 , ط3 , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة , ص209 .

(44) المصدر نفسه , ص215- 217 .

(45) المصدر نفسه , ص230- 234 .

doi : 10. 25007/ajnu. v9n1a585